الفصل الأول

الجذور التاريخية للموقف السعودي من الصراع

(مرحلة الملك عبد العزيز : ١٩١٥ م - ١٩٥٣ م)

تمهيـــد :

تكشف الوثائق والدراسات أن مأساة فلسطين كانت أولى شواغل الملك عبد العزيز منذ ظهور بوادر هذه المأساة وأنه أبدى اهتماماً عظيماً بها ، كما لعب دوراً مباشراً فيها رغم أن خيوط هذه المؤامرة بدأت تتضح خلال الحرب العالمية الأولى في نفس الوقت الذي كانت بريطانيا فيه تسرف في وعودها للشريف حسين من خلال مراسلات حسين - ماكماهون ، والتي ثبت أنها كانت تخدع الشريف حسين حتى يشترك في المجهود الحربي ضد الأتراك . ومن المعلوم أن الملك عبد العزيز الذي كان يخوض ف تلك الفترة حروباً شديدة في كثير من مناطق المملكة ضد خصومه لم يكن بحاجة إلى وعود الحكومة البريطانية حتى يحارب الأتراك ، إذ التزم جانب الحياد رغم عدائه للأتراك لأنه كان يرى أن كلا من الأتراك والإنجليز يقفون في وجهه ويعوقون جهوده . بل أن الملك عبد العزيز رغم ظروف حروبه ، وحاجته إلى مصادقة بريطانيا القوية حتى لا تجهض جهوده ، رفض في إباء - كما سنرى - أن يكون مقابل اعترافها به في اتفاقية دارين ١٩١٥ م ، أن يعترف لها بالهيمنة واليد الطولى في فلسطين .

ونلاحظ أن الفترة الزمنية التي انشغل فيها الملك عبد العزيز بمأساة فلسطين قد امتدت إذن من ١٩١٥ م تقريباً حتى وفاته عام ١٩٥٣ م . ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل متميزة :

المبحث الأول

الملك عبد العزيز ومرحلة توحيد الدولة

خلال هذه المرحلة كان هناك خطان متوازيان من التطورات ، الأول بالنسبة لتطور المأساة ، والثاني بالنسبة للملك وحروبه .

ففيما يتعلق بتطور مأساة فلسطين شهدت المرحلة الأولى تبلور خيوط المؤامرة الصهيونية على فلسطين فيما عرف بتصريح بلفور الذي أصدره اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى أحد الرعايا البريطانيين اليهود هو اللورد روتشيلد في ٢ نوفمبر ١٩١٧ م ، وفيه حددت بريطانيا موقفها إذ أيدت الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، وتعهدت من جانبها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م وانعقد مؤتمر الصلح في فرساي بباريس حيث أملى المنتصرون شروطهم على المنهزمين فيما عرف بمعاهدة صلح فرساي ، أنعشت تصريحات الرئيس الأمريكي ولسون في الحرية والاستقلال وتقرير المصير وحقوق الأقليات آمالاً كبارا لدى سكان المستعمرات مثلما أثارت آمال الفلسطينين في العدل الأمريكي ليرد عنهم الحيف البريطاني المتمثل في تصريح بلفور ، ولم يكونوا يعلمون أن الفكرة الصهيونية كانت مختمرة هي الأخرى في الولايات المتحدة وأن الرئيس ولسون كان يفخر دائماً بأنه صهيوني [1] أى من أنصار الحل الصهيوني القاضي بأن تكون فلسطين مركز تجمع ليهود العالم في كيان سياسي مستقل ، فلم يظفر الفلسطينيون وغيره من الولايات المتحدة حتى بالنظر إليهم على أنهم من الأقليات التي تحمس لهم الرئيس ولسون رغم أنهم كانوا أغلبية ، ولم يكن اليهود يشكلون سوى ١٠٪ فقط عام ١٩١٨ م ، وفاتهم كما فات غيرهم أن الأقليات التي قصدها الرئيس الأمريكي هي الأقليات الأوروبية ، وأن الدول الأوروبية كانت لا تزال ترى أن حماية القانون الدولي العام لا تمتد إلى خارج أوروبا حيث الشعوب المتبربرة . ورغم ما أبداه ولسون من تمسك

---

(١) Mohamed Shadid, The United States and the Palestinians, London, 1981, P. 27.

باحترام إرادة الشعوب ومعرفة رغباتها ، فقد أغفل توصية لجنة كينج – كرين ١٩١٩ م بإسقاط الخطة الصهيونية وأيد تقرير لجنة أخرى متعاطف مع اليهود [١] . وفي ٣٠ يونيو وافق الكونجرس على المشروع الصهيوني [٢] .

وتقدمت المأساة خطوة أخرى عندما نص عهد العصبة [٣] – وهو جزء لا يتجزأ من معاهدة فرساى المطولة – على أن التزامات الدولة المنتدبة على فلسطين ، وهي بريطانيا ، التي صمم لها دورها في نظام الانتدابات ، تشمل تنفيذ وعد بلفور . ثم كانت الخطوة التالية في تصاعد مسيرة المأساة خطوات تنفيذية وإدارية في فلسطين لتنفيذ هذا الالتزام ، تبدأ بوضع برنامج لتنظيم هجرة اليهود إلى فلسطين . وهكذا تزايد عدد اليهود عن طريق الهجرة ، حتى بدأ الميزان الديمغرافي بين العرب واليهود يختل بشدة ، وبدأ العرب في فلسطين يتنبهون إلى هذا المخطط ، ثم عمدوا إلى مقاومته ، وتصاعدت المقاومة فيما عرف بالثورة العربية الكبرى فيما بين عامي ١٩٣٦ – ١٩٣٨ م .

أما الخط الثاني : المتعلق بالملك عبد العزيز وحروبه ، فقد كان هو الآخر في تقدم مستمر انتهى بنجاح إلى ترسيخ دعائم الوحدة في شبه الجزيرة ، وتوج بإعلان المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ م .

ولا شك أن استقرار الأمور للملك عبد العزيز منذ عام ١٩٢٦ م واعتراف العالم بما فيه بريطانيا بسلطانه الجديد قد مكنته من أن يلعب دوراً أكبر في القضية .

هذه المرحلة هي أخطر مراحل القضية الفلسطينية حيث تبلورت فيها معالم المأساة ، بحيث لم يبق سوى تدشينها بقيام إسرائيل عام ١٩٤٨ م . ولذلك نجد تزايد اهتمام الملك بها خصوصاً وأنها صادفت استقرار الأمور له في الجزيرة . ففي

---

(١) وهي لجنة الشرق الأدنى في المخابرات الأمريكية التي أوصت بأن يضمن مؤتمر السلام الاعتراف بالدولة اليهودية حال قيامها « فمن العدل والإنصاف أن تصبح فلسطين دولة يهودية » . راجع د. نجيب صدقه ، قضية فلسطين ، بيروت ١٩٤٦ م ، ص ٦٥ .

(٢) نص القرار المشترك لمجلس الكونجرس الأمريكي في : محمد شديد ، مرجع سابق ، ص ٢٧

(٣) المادة ٢٢ من عهد العصبة التي تضمنت التزام بريطانيا بتنفيذ صك الانتداب في ضوء وعد بلفور .

هذه المرحلة أحدثت الثورة الفلسطينية الكبرى احتجاجاً على موجات الهجرة اليهودية القادمة من أوروبا تطاردها نقمة هتلر منذ توليه الحكم عام ١٩٣٣ م ، كما شهدت هذه المرحلة الإنتهاء إلى أن التقسيم هو الحل الوحيد للمشكلة ، وبدأ يبرز فيها دور الولايات المتحدة المباشر الذي لم يقف عند حد الضغط على بريطانيا لتسهيل هجرة اليهود ، وإنما بلغ أيضاً حد السعي لدى الملك عبد العزيز للسماح بهذه الهجرة ومحاولة إقناعه ، واستمالته مرة أخرى للموافقة على ذلك . كذلك شهدت هذه المرحلة انتقال فكرة التقسيم من الاطار البريطاني الأمريكي إلى الاطار العالمي وهو ما تمثل في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م ، وأخيراً قيام إسرائيل في العام التالي .

المبحث الثاني
الملك عبد العزيز والثورة العربية الكبرى في فلسطين

ليس معنى قولنا أن الثورة الفلسطينية ٣٦ – ١٩٣٩ م هي التي أبرزت دور الملك عبد العزيز ، أنه لم يولي تطور المشكلة اهتمامه من قبل ، بل كانت رغم مشاغله العديدة – محور اهتمامه . ويشير المؤرخ سعيد أمين إلى اهتمام الملك بأعمال اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة عام ١٩٢٩ م وهو يناقش تطورات المشلكة في ضوء حوادث حائط المبكي ، حيث استنكر الملك اعتداء اليهود على المصلين المسلمين في المسجد الأقصى في أكتوبر ١٩٢٩ م . وينقل أكرم زعيتر عن عوني عبد الهادي صوراً من مظاهر اهتمام الملك بالقضية [١] ، كما يشير إلى زيارته لنابلس عام ١٩٣٥ م للاطلاع بنفسه على الوضع في فلسطين [٢] .

---

(١) يوميات أكرم زعيتر ، بيروت ١٩٨١ م ، ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ – ٥ . قام نائب الملك عبد العزيز برفقته فؤاد حمزة وخير الدين الزركلي بزيارة نابلس في ٥ أغسطس ١٩٣٥ م ، وصور الشاعر عبد الرحيم محمود أمام الضيف أبعاد المأساة بقوله :

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر ضمت على الشكوى المريرة أضلعه =

وتكشف دراسة حديثة لأحد الباحثين اليهود [١] تعالج جذور العلاقة بين الدول العربية والقضية الفلسطينية ، أن الملك عبد العزيز قد تابع الثورة وأبدى حرصه الشديد على نتائج النضال الفلسطيني ، وحرص على أن تؤتى ثمارها ويجنبها الأخطار ، كما يشير إلى نقطة هامة يكشف عنها لأول مرة ، وهي أن الحكومة البريطانية قد سعت سراً إلى توسيط الملك عبد العزيز ، وبعض الزعماء العرب مع الفلسطينين لوقف الثورة مقابل تعهد بريطانيا بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين باعتبار أن هذه الهجرة هي سبب هذه الثورة ، وكان وقفها هو مطلبها الرئيسي . ولكن الدوائر الصهيونية عملت على عرقلة هذا الخط ، وكشفته في الصحافة وفي البرلمان . كذلك توضح هذه الدراسة أن الملك عبد العزيز هو الزعيم العربي الوحيد – الذي لم توعز له بريطانيا بالتدخل ، فضلاً عن أن الملك عبد العزيز تدخل إما بمبادرة منه ، أو بعد استنجاد الفلسطينين به لمساعدتهم .

وفي دراسة عن الثورة الفلسطينية [٢] ، يتضح لنا من الوثائق البريطانية أن الشيخ كامل القصاب مبعوث الملك عبد العزيز قد قرأ على اجتماع اللجنة العربية العليا رأى الملك الذي ترك للجنة وقف الاضراب أو استمراره على ضوء مصالح البلاد وقدرات الثوار ، وأنه وعد في الحالتين بمساعدتهم ومساندتهم ، وصارحهم بأنه اتصل بالحكومة البريطانية عدة مرات لكي تتعهد بوقف الهجرة مقابل تعهد الملك بوقف الإضراب ، ولكنها لم تمنحه هذا التعهد . وهذا يصحح ما رددته اللجنة من أنه لولا الوساطة العربية لاستمرت الثورة ونجحت في وقف الهجرة .

= المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

وغدا ، وما أدناه ، لا يبقى سوى دمع لنا يهمى وحد تقرعه

(١) M.J. Cohen, Origins of the Arab States involvement in palestine, Middle Eastern Studies 1983, PP. 244 et Sq.

(٢) د. عادل غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ ، حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٦٨ ٧٠ .

ورغم ضعف وسائل الاتصال والإعلام ، فإن الثورة الفلسطينية وجدت تجاوباً وتأييداً واسعاً للثوار في المملكة وتشكلت لجان لمساعدة المنكوبين ، وصارت صحيفة صوت الحجاز تنشر أسماء المتبرعين وتهيب بالمزيد .

وكان الملك عبد العزيز حريصاً على سبرغور الإنجليز بعد الثورة فاستمر في حواره مع الحكومة البريطانية آملاً أن يعدل في سياستها تجاه القضية الفلسطينية ، وأبرز لها دوره في تهدئة الثوار ، وإقناع الفلسطينين باستقبال لجنة التحقيق الملكية (لجنة بيل) ، ولكن بريطانيا كانت عازمة على تنفيذ وعد بلفور وفقاً لصك الانتداب ، وهو السبب الذي جعل الملك عبد العزيز يرفض الدعوات المتكررة له لشغل المقعد المخصص للشريف حسين منذ إنشاء العصبة .

وتشير الوثائق البريطانية [1] إلى أن الملك عبد العزيز أرسل للحكومة البريطانية في ٦ فبراير ١٩٣٧ م مقترحات خاصة بالقضية الفلسطينية وذلك في رسالة يشير فيها إلى أن اهتمامه الكبير بقضية فلسطين هو في نفس الوقت استجابة لموقف الشعب السعودي إذ يقول « ولقد عانينا الشيء الكثير من الضغط على رعايانا كي لا يظهر أى أمر يزيد تعقيد المشكلة ، وكثير مما عملناه لم نخبر به الحكومة البريطانية » . وفي هذه المقترحات السعودية نقطتان هامتان هما : « إيقاف الهجرة اليهودية » و « تقرير شكل الحكومة في فلسطين بالتفاهم مع أهلها » [2] .

وأحس الملك أن مقترحاته لم تلق الاهتمام الكافي من الحكومة البريطانية ، فوجه تحذيرًا « هادئاً » إليها « بأنه استطاع حتى الآن أن يتحكم في مشاعره لتكون متمشية مع المصالح السياسية ، لكنه وقف وحده وأنه ما لم يمكن إيجاد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

(٢) يتلخص مشروع الملك عبد العزيز في الدعوة إلى إقامة حكومة دستورية يمثل فيها سكان فلسطين حسب النسبة الحالية لأعدادهم وبضمانات كافية لحماية الأماكن المقدسة والأقليات والمصالح البريطانية في المنطقة ، واشترط المشروع الحد من بيع الأراضي وتنظيم الهجرة بصورة تضمن الإبقاء على النسبة الحالية للسكان . راجع مقال د. عبد الوهاب أحمد ، « بريطانيا والبحث عن حل سلمي للمشكلة الفلسطينية إبان ثورة عرب فلسطين ٣٦ – ١٩٣٩ م » ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع ديسمبر ١٩٨٢ م ، ص ٢٣ .

بعض الوسائل لارضاء عرب فلسطين فلن يستطيع أن يفعل أكثر من هذا من أجل بريطانيا » .

وعكف الملك على القضية يوليها كل اهتمامه واتصاله بالحكومة البريطانية . مثال ذلك أنه أرسل إليها في ٢٨ مارس ١٩٣٧ م يضيف إلى مقترحاته فيذكرها بأن وعد بلفور يقضي بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين ، وليس بمنح فلسطين كلها لهم كوطن قومي ، كما أن هذا الوعد تعهد بعدم الإضرار بالعرب الأصليين ، وأن اليهود الذين هاجروا حتى الآن يمكن اعتبارهم تحقيقاً للوعد ، وأنه إذا عقدت حكومة وطنية معاهدة يمكن أن تتضمن حميات الأقليات بشرط ألا يسمح ليهود آخرين بالهجرة إليها ، وألا يسمح بانتقال الأرض العربية إلى أيدي اليهود ، وأنه شخصياً مستعد دائماً للمساعدة في إقناع عرب فلسطين بأن يكونوا راضين عن أي شيء لا يهدد بانقراضهم في النهاية أو بإيجاد أغلبية في فلسطين تعرض للخطر مصالح العرب والمسلمين وبريطانيا ، وأنه يأمل أن يجد هذا الموضوع ما يستحقه من الاهتمام وأن يعامل عرب فلسطين بعدالة ورحمة » .

وفي ٢ أبريل ١٩٣٧ م أبرق المبعوث البريطاني في جدة إلى حكومته بما يردده الملك عبد العزيز في جلساته الخاصة من أن السياسة الصهيونية خاطئة ، وأنه يخشى أن تؤدى – ونذر الحرب العالمية بادية – إلى ارتكاب العرب لمذبحة ضد اليهود ، وأن وجود اليهود في فلسطين ليس في مصلحة بريطانيا . ونقل مبعوثوا بريطانيا إلى حكومتهم صلابة موقف الملك ومتابعته اليومية للمشكلة ، واعتقادهم أنه إذا أدت سياستها إلى أن يصبح العرب أقلية في دولة يهودية فسوف ينقلب عدواً خطيراً لبريطانيا . وانزعجت الحكومة البريطانية من هذه التحذيرات ، فحاولت المراوغة علّها تحتوى موقف الملك ، إذ وجهت مبعوثها في جدة لمحاولة إيهام الملك أنها مهتمة بموقفه ومقترحاته ، وأن يحاول المبعوث التركيز على نقاط الالتقاء بين موقف الملك وبعض نقاط تقرير لجنة بيل .

وقد أورد خير الدين الزركلي [1] بعض نصوص المراسلات الكثيرة بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانية حول المشكلة الفلسطينية .

(١) الزركلي ، شبه الجزيرة ، ص ١٠٧٩ وما بعدها .

والواقع أن رسائل الملك كانت مفصلة وواضحة لا تترك لبسا أو سوء فهم أو اجتهاد في شيء يتعلق بها . ففي مذكرة سلمتها الخارجية السعودية إلى المفوضية البريطانية في جدة في سبتمبر ١٩٣٧ م يعبر فيها الملك عن دهشته لدى إبلاغه بتقرير اللجنة الملكية بالتقسيم ، قبل إذاعته ، ويوضح في صراحة تامة أربعة أسباب تجعله يهتم هذا الاهتمام الشديد بقضية فلسطين هي :

١ – أن وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال أعطيت في الأساس باسم الحجاز الذي أصبح قسما مهما من المملكة .

٢ – أن عدم حل القضية على وجه مقبول قد يؤدي إلى إيجاد هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها بين بريطانيا والعرب ، بما في ذلك من أخطار .

٣ – أن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية ، ولا يمكن لأي حاكم عربي مسلم أن يغفلها دون أن يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة .

٤ – مسؤولية الملك مع زملائه الملوك العرب عن التوسط لتهدئة الثوار الفلسطينيين .

ويروي خير الدين الزركلي [١] الدبلوماسي الذي رافق الملك مدة طويلة أنه كان يغلبه التأثر وتخنقه العبرة وهو يتكلم إلى المبعوثين البريطانيين عن مأساة عرب فلسطين .

ولقد كان الملك عبد العزيز عنيداً في موقفه ولا يقبل المساومة عليه على الإطلاق . فقد رفض مقابلة بن جوريون للتحدث في المشكلة الفلسطينية عام ١٩٣٨ م ويروي الشيخ حافظ وهبه أنه رفض عرض الزعيم الصهيوني وأقره الملك على ذلك ، لأنه كان قد رفض عرضاً من فيلبي لنفس العرض .

وقد حاول الإنجليز الضغط على الملك خلال مراحل تكوين الدولة الصعبة ، فيذكر خير الدين الزركلي [٢] أن بريطانيا طلبت من الملك عام ١٩٢٦ م في

(١) نفس المرجع .

(٢) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٣ .

اجتماعات وادي العقيق التي أسفرت عن عقد اتفاقية جدة ، وضع مادة خاصة للاعتراف بمركز خاص لبريطانيا في فلسطين ، ولكنه رفض ذلك .

وتحينت بريطانيا فرصة مطالبة الملك بإلغاء معاهدة ١٩١٥ م التي فرضت على نجد لتأخذ ثمن إلغائها اعترافاً منه « بالمركز الخاص » لها في فلسطين ، واستمرت المحادثات نحو عشرين يوماً ولكنها توقفت ، ولم تستأنف إلا بعد أن تنازلت بريطانيا عن هذه المادة ، وبعض المواد الأخرى التي سبق أن طلبت إضافتها [١] .

ويروي أن جون فليبي [٢] انتهز فرصة حاجة الملك عبد العزيز إلى المال في حروبه إبان الحرب العالمية الأولى ، فاتفق مع الزعماء الصهاينة على وضع خطة لتقسيم فلسطين وتوطين أعداد كبيرة من اليهود فيها ، مقابل دفع مبلغ عشرين مليون جنيها استرلينيا للملك من المصادر الصهيونية في شكل قرض ، لأنهم كانوا يتوقعون أن يصبح الملك زعيم الزعماء Boss of Bosses على حد تعبير تشرشل للزعيم الصهيوني حايم وايزمان . واعتقد فيلبي أن الحاجة سوف تلجيء الملك لقبول هذا العرض ، ولكنه فوجيء بثورة الملك العارمة بمجرد مفاتحته فيه ، فقد عظم عليه فكرة أن يبيع فلسطين [٣] وكبر في نفسه هذه الإهانة التي وجهها الصهاينة له إلى حد أن تساومه الوكالة اليهودية وزعماء الصهيونية [٤] . ويقول

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أورد جون فيلبي هذه الرواية في كتابه Arabian Jubilee طبعة نيويورك ١٩٥٣ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ . كما أورد الرواية حافظ وهبه سفير الملك في لندن ، ويذكر أنها حدثت مرة أخرى عام ١٩٤٠ م . انظر ص ١٧٩ من كتابه « خمسون عاما في جزيرة العرب » ، القاهرة ١٩٦٠ م .

(٣) Peter Mansfield, The New Arabians, U.S.A, 1981, P. 71

(٤) قال الملك عبد العزيز في حديثه للكولونيل هاري هوسكينز المبعوث الشخصي للرئيس روزفلت في يوليو ١٩٤٣ م أنه لا يوافق على اقتراحه باستقبال حايم وايزمان بصفة خاصة لأنه أرسل شخصا أوربيا معروفا (يقصد فيلبي) « يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ويسلم إلى عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون المبلغ مكفولا من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ، ويجعل فخامة الرئيس كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع ؟

انظر ذلك في : أحاديث ومقابلات الملك التي جمعها محي الدين القابسي ص ١٧٢ .

بيتر مانسفيلد [1] أن رئيس الدبلوماسية الأمريكية في الرياض كرر العرض عام ١٩٤٣ م ولقي نفس المصير .

وقد أدت هذه الطريقة بالفعل إلى إساءة البعض فهم موقف الملك عبد العزيز ، وأخفق المراقبون في التكهن بموقفه ، فحيث توقعوا أن يقبل فكرة التقسيم ، فإذا هو أول من يعارض التقسيم ويستنكره ويتصدى له ويحذر من مخاطره ، وحاول بكل السبل أن يحارب قرار التقسيم ، من ذلك ما نقل عن الشيخ يوسف ياسين مبعوث الملك قوله للمبعوث الألماني في بغداد في ١٩٣٧/١١/٥ م أن الملك يتوقع من ألمانيا أن تقوم بخطوات للحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين [2] .

وتشير بعض المصادر [3] إلى أن الفترة من ٣٧ – ١٩٤٠ م شهدت قيام الملك عبد العزيز بالتراسل مع الألمان للحصول على شحنات من الأسلحة لصالح المناضلين الفلسطينين ، كما أنه عمل على مساعدتهم ماليا بقدر استطاعته .

المبحث الثالث
الملك عبد العزيز وقبول أمريكا لفكرة التقسيم

أدى قبول الولايات المتحدة لفكرة التقسيم التي اقترحتها اللجنة الملكية البريطانية إلى غضب الملك عبد العزيز فأرسل خطاباً [4] مطولاً إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في ١٩٣٨/١١/٢٩ م (٧ شوال ١٣٥٧ هـ) أوضح فيه أن مناصرة أمريكا لليهود تعكس إغفالها لوجهة النظر العربية وتأثرها بالدعاية اليهودية التي صورت سحق العرب على أنه عمل إنساني ، وأن هذا لا يتفق مع تقاليد الديمقراطية الأمريكية المؤسسة على تأييد الحق والعدل ونصرة الأمم الضعيفة .

---

(١) بيتر مانسفيلد ، ص ٧٢ .

(٢) د. عادل غنيم ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٣) Sheikn Rustum Ali, Saudi Arabia and Oil Diplomacy, U.S.A, 1976, P. 68.

(٤) محيي الدين القابسي ، المصحف والسيف ، ص ١٩٢ – ١٩٧ نقلا عن أمين سعيد .

وفند الملك عبد العزيز في خطابه هذا بالتفصيل جميع أسانيد اليهود وهي الحجة التاريخية ، وأنهم مشتتون في بلاد العالم ، وأنهم يريدون مجتمعا في فلسطين يعيشون فيه أحرارا ، وإنهم يعتمدون في تنفيذ ذلك على وعد بلفور .

ثم يوجز ما فصله في مرافعته القيمة « من ذلك يتبين لفخامتكم أن حجة اليهود التاريخية باطلة ، ولا يمكن اعتبارها ، كما أن حجتهم من الوجهة الإنسانية قد قامت فيها فلسطين بما لم يقم به بلد آخر ، ووعد بلفور الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ومخالف لمبدأ تقرير المصير ، والمطامع الصهيونية تجعل العرب في جميع الأقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها » .

ثم راح يؤكد بعد ذلك على حقوق العرب في فلسطين « فهي عربية عرفاً ولساناً وموقعاً وثقافةً وليس في ذلك أية شبهة أو غموض ، وتاريخ العرب في تلك البلاد مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة » .

وأوضح الملك أن عرب فلسطين قدموا للحلفاء في الحرب الأولى أفضل المساعدة ولم يجدوا منهم سوى النكران والجحود . وختم رسالته مؤكدا على أنه « ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدن وأن تتحمل فلسطين الضيقة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته » .

وقد رد روزفلت على الملك بخطاب موجز بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٩ م ولم يَعِد فيه بشيء .

المبحث الرابع

مساعي الملك عبد العزيز لدى الولايات المتحدة وبريطانيا

أدرك الملك عبد العزيز التحول الذي طرأ على الدور الأمريكي في القضية إذ شعر أن الولايات المتحدة تكاد تحل محل بريطانيا تدريجياً في تبني القضية مثلما أخذت تحل محلها في مسؤوليتها العالمية في جميع أنحاء العالم . كذلك علم الملك باستقرار النية في هذا الاتجاه مما كشف عنه المؤتمر الصهيوني في بليتمور

١٩٤٣ م . ولذلك أرسل في ٣٠ أبريل ١٩٤٣ م رسالة إلى الرئيس روزفلت [١] إلحاقاً بكتابه السابق إليه عام ١٩٣٨ م ينبه فيه إلى مساعي اليهود ودعاياتهم لاغتصاب فلسطين مستغلين ظروف الحرب ، وأبدى خشيته أن يقترن نصر الحلفاء في هذه الحرب العظمى بتحقيق جور فادح بتمكين اليهود من فلسطين . ويؤكد الملك في كتابه على عدم أحقية اليهود في فلسطين ويقول بشأن دعوى اليهود في فلسطين « تكاد السموات يتفطرن ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال ، من كل ما يدعيه اليهود في فلسطين دينا ودنيا » .

ويشير الملك إلى تزايد نسبة اليهود من ٧٪ عام ١٩١٨ م إلى ٢٩٪ عام ١٩٣٩ م ، ويؤكد أنه لا يريد محو اليهود ، ولكنه يطالب بألا يمحي العرب من أجل إسكان اليهود ، ويقترح توزيعهم على دول الحلفاء . وناشد الملك الرئيس الأمريكي أن يعمل على إنصاف العرب حتى يشاركوا الحلفاء نصرهم . وقد سبقت الإشارة في هذه الدراسة إلى أن تشرشل طلب من الملك خلال لقائهما عام ١٩٤٥ م في مصر قبول عدد من اليهود المضطهدين في بلاده ، ولكن الملك رفض حتى مناقشة الموضوع ، ونحن نرى أنه ربما كان هذا الموضوع وغيره مما تناوله هذا اللقاء ، سبباً في توتر اللقاء وعدم ارتياح الملك لتشرشل .

وبعد أن استقبل الملك عبد العزيز هوسكينز مبعوث الرئيس الأمريكي الذي سلمه رد الرئيس وذلك في يوليو ١٩٤٣ م ، حمله الملك رسالة أخرى [٢] إلى الرئيس يؤكد فيها على موقفه من القضية .

ورأى الرئيس روزفلت من المفيد أن يلتقي بالملك عبد العزيز ليقنعه بالتخلي عن موقفه المؤيد لعرب فلسطين والمناهض للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فالتقى الزعيمان على ظهر المدمرة الأمريكية كوينسي في فبراير ١٩٤٥ م في قناة السويس .

---

(١) نص الرسالة في الزركلي ، ص ٢٦٣ .

(٢) النص في الزركلي الوجير الطبعة الثانية ، ص ٢٦٤ .

وينقل Benoist Méchin في كتابه « ميلاد مملكة » [1] تفاصيل هذا اللقاء مستعيناً بأقوال نجل روزفلت ، ومذكرات روزفلت نفسه ، ومعلومات مدير أرامكو ، وفيه أعاد الملك موقفه من العرب واليهود ورأيه في تسوية المشكلة وإصراره على هذا الموقف مما ترك علامات الإعجاب بصلابته وصراحته ووضوحه في نفس روزفلت ، واعترف بأنه أفاد كثيراً بمعرفة جوانب المشكلة من هذه المقابلة ، ووعده بألا يتخذ موقفاً ضاراً بالعرب في المستقبل .

ويروي المؤلف [2] عن هذه المقابلة أن الملك لم يبتسم وينفرج في النقاش إلا بعد أن انتهى من القضية الفلسطينية . وقد طلب الملك من الرئيس تعهد الولايات المتحدة – في إطار صيغة لتعاونهما – بمساندة كل المبادرات السعودية الخاصة بتحرير الشعوب العربية الموضوعة تحت الوصايات الأجنبية .

ويشير المؤلف [3] إلى أن من أسباب إعجاب روزفلت أيضاً بالملك عبد العزيز قبوله بالتعاون مع الولايات المتحدة مع تمسكه الصارم باستقلال بلاده ، وحريته في القرار . وقال روزفلت في الكونجرس في مارس ١٩٤٥ م « لقد وعيت عن مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة » [4] .

وفي مارس ١٩٤٥ م عاد الملك يذكر الرئيس روزفلت بوعود الحلفاء للعرب ، وراح يكرر في كتاب مفصل [5] متانة الحقوق العربية وفساد المزاعم اليهودية على نحو ما فعل في مراسلاته السابقة مع روزفلت . وتنبأ الملك بأن تكوين دولة يهودية في فلسطين سيكون ضربة قاضية للكيان العربي ومهددة للسلم

---

(١) ترجمة رمضان لاوند ص ٥٠٠ وما بعدها وانظر دافيد هوارث ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٢) ميشوا ، مرجع سابق ، ص ٥٠٢ – ٥٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٤ .

(٤) الزركلي الوجيز ص ٢٧١ .

(٥) النص في أمين سعيد ، ص ٣٤١ .

باستمرار وقد حدد الرئيس روزفلت تأكيداته بالعدل في القضية ، وذلك في رده على الملك [1] بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٥ م .

ومما يذكر أن الملك عبد العزيز التقى بتشرشل أيضاً خلال وجوده بمصر للقاء روزفلت في فبراير ١٩٤٥ م . ويقول حافظ وهبة أن مشادة وقعت بين عبد العزيز وتشرشل بسبب تمسك تشرشل بموقف بريطانيا من اليهود وفقاك لوعد بلفور . ويبدو من رواية أمين سعيد [2] لمقابلة الملك وتشرشل أن الأخير أثار الملك وأغضبه عندما افتتح حديثه بأنه أول واضع لسياسة إيجاد وطن قومي لليهود . ولكن الملك لم ييأس من إقناع تشرشل بالقضية فكتب إليه شارحاً وموضحاً في ١٠ مارس ١٩٤٥ م [3] . كما أن تشرشل سجل بمذكراته إعجابه بالملك [4] .

ترومان وعبد العزيز :

في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ م نشرت جريدة أم القرى بياناً سلمته المفوضية الأمريكية في جدة إلى وزارة الخارجية السعودية صادة عن البيت الأبيض يؤكد أن الحكومة الأمريكية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين بل رحبت بحلها بالتشاور بين الدول العربية وبريطانيا . ولكن مما أذهل الملك عبد العزيز صدور بيان آخر مناقض للأول بتاريخ ١٩٤٦/١٠/٤ م يظهر تأييد أمريكا لتوصية اللجنة الأمريكية – البريطانية بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتحمسها لتنفيذ الفكرة . فكتب الملك للرئيس ترومان [5] في ١٩٤٦/١٠/١٥ م

---

(١) النص في المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

(٢) أمين سعيد ، ص ٣٤١ .

(٣) الزركلي – الوجيز – ص ٢٧٤ – ٢٧٦ .

(٤) يقول تشرشل في مذكراته أنه أعجب بعبد العزيز لاخلاصه للإنجليز . ولكن الدراسات تجمع على أن عبد العزيز لم يكن يخلص إلا للإسلام ومصالح المسلمين والعرب راجع على سبيل المثال :

David Mawarth, The Desert King, Beirut 1974, P. 199.

(٥) نص الرسالة في الوثائق الفلسطينية التي نشرتها الجامعة العربية ، ص ٤٦٥ – ٤٦٦ .

بهذا المعنى ، وذكره بوعود روزفلت ، وحثه على إقرار الحق والعدل والإنصاف لعرب فلسطين .

ورد الرئيس ترومان [1] بتاريخ ١٩٤٦/١٠/٢٨ م مؤكداً على تأييد بلاده للحل الصهيوني وفقا لوعد بلفور منذ صدوره ، وتمسكه بأن تحقيق هذا الحل هو السبيل الوحيد لمواجهة كارثة اليهود في أوروبا واضطهادهم .

والواقع أن المراسلات بين عبد العزيز وترومان لم تنقطع أملا من الملك في إقناع الرئيس بعدالة القضية العربية ، واثنائه عن تأييده لليهود ، ونشير إلى بعضها [2] ، منها رسالة الملك إلى ترومان في ١٩٤٥/٨/٢٣ م ، ورسالة ٤ يناير ١٩٤٦ م ، ورسالة ٢٤ مايو ١٩٤٦ م ، ورسالة ترومان في ٨ يوليو ١٩٤٦ م ، ورسالة الملك في ١٩٤٦/٩/١٥ م ..... إلخ . وهكذا كانت الرسائل المشار إليها بعض ما سبقها وما لحقها من مراسلات يدافع فيها الملك عن حقوق العرب في فلسطين .

ولقد أفزع الملك عبد العزيز رجوع ترومان عن وعود سلفه روزفلت ، وكان ذلك صدمة كبيرة له في مصداقية الولايات المتحدة . ويفسر دافيد هوارث [3] ذلك بأن الملك لم يفطن إلى أن النظام الأمريكي يفرق بين الوعود الشخصية للرئيس ، والوعود الرسمية ، لأن الوعد بمقاييس الملك البدوية أمر يتعلق بالشرف ، وأنه وفق مفهومه حيث هو الدولة والحكومة ، لا فرق بين وعد شخصي وآخر رسمي . ولنا على ذلك ملاحظتان :

أولاهما : أن الملك أوضح صراحة لروزفلت أنه يود أن يفهم الجانب الإنساني من المشكلة بوصفه إنسانا ، وأن يلتزم بموقف بوصفه رئيسا وهذا يدل على تمييز الملك وإدراكه لهذا الفرق .

---

(١) نص الرد في المرجع السابق ، ص ٤٦٧ – ٤٧٠ باللغة العربية ، وفي ص ٤٧١ – ٤٧٤ باللغة الإنجليزية .

(٢) نصوص هذه الرسائل في الزركلي – الوجيز – ص ٢٨١ وما بعدها .

(٣) دافيد هوارث ، ص ٢٠٧ .

والملاحظة الثانية : أن الخطة الصهيونية كانت أكبر من روزفلت وغيره وأنها كانت ماضية في طريقها ، ولذلك فإن وعود روزفلت لعبد العزيز إما أن تنم عن غفلة بما يجري ، أو قصد به تخديره وتهدئته ، أو أنها كانت آمالاً عند روزفلت .

المبحث الخامس
جهود الملك في الإطار العربي

يلفت النظر إشارة الملك عبد العزيز في لقائه بوفد اللجنة العربية العليا التي زارته خلال زيارته للقاهرة في ١٣ يناير ١٩٤٦ ، أربعة أمور تشكل جوهر السياسة السعودية حتى الآن وهي تأكيده على أن قضية عرب فلسطين « وكانت ولا تزال في قلبه » ، وأن طريقته في القضية ليست الأقوال وإنما العمل الصامت ، ثم وصيته لعرب فلسطين بالتضامن والوحدة وأن يكونوا « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

والأمر الرابع : هو أن أساس مناصرة قضية فلسطين هو الإسلام والعروبة ، إذ أكد أنه « لا يخدم قضية فلسطين حبا في فلسطين بل بدافع الإيمان بالدين الحنيف ، فضلاً عن أنها قضية العرب كلهم » .

وفي مؤتمر أنشاص في ٢٩ مايو ١٩٤٦ م أكدت المملكة مع شقيقاتها العربيات على حق العرب في فلسطين ، وناشدت انجلترا وأمريكا وقف باب الهجرة اليهودية . كذلك سارعت المملكة إلى مؤتمر الجامعة العربية في بلودان عام ١٩٤٦ م الذي اتخذ عدداً من القرارات لدعم عرب فلسطين ومناوأة اليهود ، ورفض تقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية التي أيدت اليهود ضد العرب ، وقرر السعي لدى بريطانيا لإنهاء انتدابها وتمكين شعب فلسطين من تقرير مصيره . ثم اشتركت المملكة في مؤتمر الاسكندرية في ١٢ أغسطس ١٩٤٦ م لتنسيق الموقف العربي في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في ١٠ سبتمبر ١٩٤٦ م .

وعندما نظرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر سنة ١٩٤٧ م تقرير

لجنة فلسطين أوصت بتقسيمها وانتهت بقرار الجمعية بهذا المعنى ، أرسل الملك وزير خارجيته الأمير فيصل إلى اجتماعات الجمعية حيث ناشد الشعب الأمريكي ألا يوافق حكومته على فكرة تقسيم فلسطين التي تؤذن باضطرابات لا تنتهي في الشرق الأوسط [1] . وتقدم الوفد السعودي باقتراح مع العراق وسوريا يقضي بإنهاء الانتداب على فلسطين ، والاعتراف باستقلالها كدولة واحدة . وكان هذا الاقتراح ضمن المقترحات الأخرى التي أحالتها الجمعية على اللجنة الخاصة بالقضية الفلسطينية لدراستها [2] .

ورفضت المملكة قرار التقسيم ، وأصدرت الخارجية السعودية في مايو ١٩٤٨ م بياناً [3] أيدت فيه القرارات العربية التي تتخذ للدفاع عن فلسطين والمحافظة على عروبتها والحيلولة دون تقسيمها ، وقيام الدولة اليهودية ، كما قررت المملكة بالاشتراك مع شقيقاتها الدخول إلى فلسطين في الموعد المتفق عليه للدفاع عسكريا عنها .

هكذا نلاحظ أن الملك عبد العزيز كان يدرك بحسه الفطري السليم جميع أبعاد المأساة في فلسطين منذ بدايتها وأطوال مراحل تطورها .

هكذا كان توقعه لتغليب اليهود على العرب ، ولرؤيته في الحل الصحيح للمشكلة ، وواقعيته في تقدير جوانب الموضوع بأكمله ، إذ كان يقدر مدى التزام بريطانيا بوعدها والقوى السياسية الصهيونية التي رسمت هذا الالتزام وحدوده ووسائل تنفيذه ، وفي نفس الوقت الذي فهم فيه بشكل عميق أن الصهاينة نجحوا في إقناع بريطانيا بأن مصلحتها في مصر تقتضي تواجد النفوذ اليهودي في فلسطين . وكان الملك يصر على أن الظلم والاضطهاد الذي حاق باليهود في أوروبا سببه سوء عاداتهم وخياناتهم لأوطانهم ، وأن ظلمهم هذا المزعوم لا يجب أن يتحمله عرب فلسطين الأبرياء وأن يدفعوا هم ثمنه بلا جريرة وأن يشردوا من

---

(١) أمين سعيد ، ص ٣٥٧ .

(٢) أحمد فراج طايع ، صفحات مطوية عن فلسطين – القاهرة – ص ٤٢ .

(٣) نص البيان في أمين سعيد ، ص ٣٥٨ .

أوطانهم ، بل كان يطالب بتوطين اليهود في البلاد التي طردوا منها بعد زوال الظروف التي طردوا فيها وأسباب طردهم ، أو توطينهم في دول الحلفاء .

وكان الملك يدرك أبعاد المؤامرة الكبرى بين بريطانيا والولايات المتحدة وبين الاستعمار والصهيونية والشيوعية خصوصا بعد تحمس الاتحاد السوفيتي لقيام إسرائيل ، وإدخاله الموضوع في نطاق الحرب الباردة الجديدة ، كما كان يدرك أن المؤامرة تستهدف العرب جميعاً ولا تقتصر على عرب فلسطين .

ولقد غضب الملك لاعتراف واشنطون بإسرائيل نكثا بوعد روزفلت للملك حتى أنه رفض قبول مبلغ ١٥ مليون دولار كقرض من بنك التصدير والاستيراد الأمريكي [١] .

المبحث السادس
مرحلة المواجهة وقيام إسرائيل (١٩٤٨ ــ ١٩٥٣ م)

لم يتردد الملك عبد العزيز في أن يشترك الجنود السعوديون مع إخوانهم المصريين وبقية الدول العربية التي قررت التصدي عسكريا لليهود ، وهذه الدول هي سوريا والعراق ولبنان والأردن .

وأدرك الملك عبد العزيز في تلك المرحلة أن الصراع قد انتقل من كونه صراعا داخليا أو حربا أهلية بين العرب واليهود المدعومين من بريطانيا وأمريكا في فلسطين ، إلى دائرة الصراع ذي الطابع الدولي . كذلك لابد أنه قد أدرك أن فرضيات المشكلة قد تغيرت بعد زرع إسرائيل في قلب المنطقة العربية غير بعيد عن الحدود السعودية خصوصاً وأن إسرائيل بدأت تطالب منذ قيامها واغتصابها لموطىء قدم لها على خليج العقبة بحرية المرور في مضايق تيران وفي الخليج نفسه على أساس أنه ممر مائي دولي . وقد نجحت إسرائيل بالفعل في مؤتمر جنيف لقانون البحار عام ١٩٥٨ م في إقرار هذا الزعم في المادة ٤/١٦ من اتفاقية الجرف القاري .

---

(١) شيخ رستم علي ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

ويدل استقراء فكر الملك عبد العزيز أنه كان يدرك بعدا استراتيجيا واضحاً في الصراع العربي الاسرائيلي بوضعه الجديد ، كما كان يستشعر بعداً أمنيا ملحوظا للمملكة أفصح عن نفسه بعد ذلك في القول والفعل .

وقد أوضح في رسالة بعثها للرئيس ترومان [١] في ٤ يناير ١٩٤٦ م « أن برامج الصهيونية .. لا تعتبرها الحكومية السعودية موجهة لفلسطين وحدها ، بل هي في نفس الوقت تعتبر خطراً مهددا للمملكة .. وقد أوضحت هذا بكل جلاء لسلفكم .. روزفلت » . وقال أن الصهيونية تهدد أمن الشرق الأوسط والمملكة العربية السعودية .

ويتصل بهذه النقطة أن الملك عبد العزيز ظل على قناعة كاملة أن تخاذل العرب وتهاونهم وتناحرهم هو السبب في ضياع فلسطين بما في ذلك هزيمة العرب أمام إسرائيل عام ١٩٤٨ م [٢] . وكان الملك لا يوافق على أن يطلب العرب مناصرة غيرهم قبل أن يتحدوا ويخلصوا ويتساندوا ، ويحلو له أن يردد قول الشاعر [٣] : إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجبا أن سالمتك الأباعد وهناك نقطة أخرى سبق للمملكة أن أعربت عنها في مراسلات الملك عبد العزيز مع الحكومة البريطانية مما سبقت الإشارة إليها ، وهي أنه لا يستطيع – وهو يتعامل مع اليهود – أن يغفل التجربة المريرة التي عاناها الرسول منهم [٤] وأنه لا يثق فيهم ولا يأمن غدرهم ومكرهم ، وأنه يخشى على الأماكن المقدسة منهم ، ولذلك كانت المملكة هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تسمح بدخول اليهود إليها سوى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق عام ١٩٧٤ م .

---

(١) نص الرسالة في الزركلي – الوجير ، ص ٢٨٢ .

(٢) راجع H. St. John Philby, Saudi Arabia, Beirut 1968, PP. 348-349.

(٣) من خطاب الملك عبد العزيز في موسم الحج عام ١٣٦٥ هـ/نوفمبر ١٩٤٦ م ، محيي الدين القابسي ، ص ١٣٦ .

(٤) راجع على سبيل المثال حديث الملك مع أعضاء لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية في الرياض في ٩ مارس ١٩٤٦ م في الزركلي الوجير ، ص ٢٨٤ .

وتجدر الإشارة إلى أن الملك فيصل عندما كان يمثل المملكة في الأمم المتحدة في دورة الجمعية عام ١٩٤٩ م التي قبلت فيها إسرائيل في الأمم المتحدة ، قد عاد بقناعة أكدت نظرة والده الملك عبد العزيز ، وهي التواطؤ بين الاستعمار والشيوعية والصهيونية ، وأن العرب هدف لهذا التواطؤ ، وأن تقرب أيهم للعرب هدفه مصالح هذه الأطراف .